أسس الحضارة الإسلامية : إمكانيات الماضي والتحديات المعاصرة

د.مقبولة مسعود العوامي*

المقدمة:

لكل حضارة مبادئ عامة تعد بمثابة حجر الأساس لنشأتها، هذه المبادئ قد يكون مصدرها عقيدة دينية، أو مذاهب فكرية ،أو فلسفة وضعية إلخ، هي من أقوى المبادئ التي تشيد الحضارة، و يضفي عليها الصبغة الحضارية، وخير مثال لذلك الحضارة الإسلامية، والحضارات الكبرى الأخرى المعروفة والموجودة على الساحة الحضارية حتى الآن، فمن هذه الحضارات ما يغلب عليها الجانب الروحي، ومنها ما يغلب عليها الجانب المادي، ومنها من قامت عن طريق التوازن بين الجانبين.

فلو نظرنا إلى الحضارات الكبرى عبر التاريخ، لوجدناها حضارات متنوعة تختلف كل منها عن الأخرى من حيث الروح المكون لتلك الحضارة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد حضارة يتسم مظهرها بطابع العلم والفن، والتعبير عن ذاتها مثل الحضارة المصرية القديمة ، وهناك الحضارة الهندية التي من أهم سماتها الشك في العالم، حيث ترى أن العالم وهُم ، و أن الوجود الإنساني شر وألم ،لذلك نجدها ترسم الطريق للخلاص من هذا الوجود، من خلال تصورات يعمها الغموض، ما يدفعها للاعتقاد بفكرة التناسخ أي تنقل النفس الفردية في كل الصور كي تتخلص من وجودها ما يجعل هذه التصورات في الفلسفة الهندية، لا تشجع على الفاعلية و احتمال العبء الضخم الذي ينهض به من ينشئ الحضارة.

أما الحضارة الصينية، فمن أهم سماتها أنها حضارة قامت على أسس من التنظيم الاجتماعي بحسب مبادئ العدالة والمحبة الإنسانية وإقامة العلاقات الاجتماعية على أسس أخلاقية ، فهي حضارة بعيدة عن البحث العقلي حول حقائق الأشياء أو تصورات الميتافيزيقا ، ولكنهم رغم ذلك لا يجهلون وجود كائن أعلى كامل عادل هو المشرف والرقيب على الناس وأعمالهم ، أما **اليونانية** فتتسم بالفكر، فهي حضارة شعب مفكر مرهف الحس والروح ، ينشأ تصوراً عقلياً للكون عن طريق الاستنباط الفكري لتنظيم الحياة ، هذا الاستنباط لا يخلو من الخيال أو النزعة الفنية الشعرية ، وتبرير فكرة الحقيقة والفضيلة الإنسانية.

* قسم الفلسفة - كلية الآداب

أما حضارة **أوروبا** العلمية والتكنولوجية فهي حضارة تقوم على النقد للمعرفة إلى حد الشك والانطلاق في التفكير حتى الوصول إلى أكثر التصورات تعارضاً ، وهي تبحث عن التغير والتجديد المستمر، مستعينة بالعلم و تطبيقاته لتسخير قوى الطبيعة، فهي حضارة لا يسير فيها التقدم المعنوي الروحي، والخلقي الإنساني موازياً للتقدم المادي ما جعل بعض مفكريها يتنبأ لها بالانهيار.

هذه نماذج لحضارات ليس مصدرها رسالة محددة ، في حين نجد الحضارة الإسلامية حضارة مستمدة من دين سماوي منحها أصولاً حضارية متينة ثابتة لا تتغير مع تغير الزمان والمكان وهناك أمر هام جدًّا، وهو أن المسلمين عندما انطلقوا في الأرض – فاتحين - كانوا من حيث النواحي الحضارية والعمرانية في آخر الركب كما هو معلوم ، ولكنهم كانوا من حيث النواحي المعنوية في القمة عقيدةً وعبادة ومنهج حياة، فلم يقدموا للعالم صناعات ولا مخترعات ولا فلسفات ، إنما قدّموا لهم هذه الرسالة الخاتمة التي قال الله تعالى عنها: {**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**}**(سورة إبراهيم آية1)** فالإسلام منح الجماعة الإسلامية، سواء أكانت عربية أم غير عربية، الهوية الروحية، حيث وسعت فكرة الروابط الاجتماعية بين الأفراد مبدأ أساس الجماعة الإسلامية الوليدة بذاتها الحضارية الخاصة في الظهور، وأخذت بواكير الحضارة طريقها إلى ضمير الإنسان المسلم من خلال تعاليم الإسلام، تلك التعاليم التي وضعت أسس الحضارة الإسلامية ، التي تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة القرآن الكريم . التي تمدها بالروح والقوة والتماسك ، وتوجهها إلى الموازنة بين الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل ،وعن الماديات الجامحة المفسدة، فهي في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وإقراره بالعبادة والتنظيم والتمسك بما شرع من أداء السلوك والمعاملة، فقد تضمن الإسلام القيم الكفيلة بتأسيس حضارة راسخة شامخة ، نامية متجددة ، فأكدت كرامة الإنسان، وأهمية ما أنعم الله به عليه من عقل وإرادة، ووجهت المؤمنين إلى إقامة السلطة الضابطة المنظمة العادلة، وكان نشر تلك القيم يقوم على أساس معنوي عَقَدِيٍّ أخلاقي، فمؤسساتها ونظمها وسائر منجزاتها تنبعث فيها روح أخلاقية يزكيها الإيمان ،فهي- **الحضارة الإسلامية** - إحدى ثمار العقيدة الإسلامية، ومن معطيات الإسلام؛ بما يملك من أسس وخصائص مقومات.

وفي هذا البحث سنعرض أسس العقيدة الإسلامية لتبيان أثرها في إيجاد حضارة الجيل الأول من المسلمين ، ثم محاولة الإجابة عن إشكالية البحث وهي هل بإمكان المسلمين مواجهة التحديات المعاصرة ؟ وإخراج حضارتهم من حالة الركود؟

خطوات البحث : ستكون بالحديث عن : **مفهوم الحضارة الإسلامية، أسس الحضارة الإسلامية ، وإمكانية قيام حضارة إسلامية معاصرة** .

مفهوم الحضارة الإسلامية:

نجد في الفكر الإسلامي الحديث كثيراً من المفكرين الذين تحدثوا عن الحضارة ، وربطوها بالمفهوم الإسلامي والعقيدة الإسلامية، منهم على سبيل المثال :**سيد قطب*** فقد اهتم بمفهوم الحضارة، مؤكدا على أن الإسلام في حقيقته هو الحضارة، ونجد تصوره لمصطلح الحضارة الإسلامية يكمن في أنها يمكن أن تتخذ أشكالاً متنوعة في تركيبها المادي والتشكيلي، ولكن الأصول والقيم التي تقوم عليها ثابتة، لأنها مقومات هذه الحضارة و"لأن العبودية لله وحده، والتجمع على آصرة العقيدة، استعلاء إنسانية الإنسان على المادة، وسيادة القيم الإنسانية التي تنمي إنسانية الإنسان لا حيوانيته، وحرمة الأسرة، والخلافة في الأرض، على عهد الله وشرطه، وتحكيم منهج الله وشريعته وحدها في شؤون هذه الخلافة."[1] وكأن سيد قطب يريد أن يقول :إن الحضارة الإسلامية هي ما يقدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ وقواعد ترفع من شأنه وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسر سبل الحياة للإنسان، ويتم كل ذلك في ضوء المبادئ الإسلامية، ولا يحيد عنها، ومن هنا فإن الحضارة في المفهوم الإسلامي "تعني تحقيق المشيئة الإلهية في عمارة الأرض مادياً ومعنوياً، وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله في الأرض، وهكذا نجد أن سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة لا تكفي وحدها لبناء الحضارة، بل لابد أن ينضم إلى ذلك أيضاً سيطرة الإنسان على نوازعه الداخلية وأهوائه وشهواته، حتى تكون منضبطة بالقيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية، بذلك تتم عمارة الأرض، كما أراد الله."[2]

خلاصة القول: على الرغم من أن لكل حضارة منجزاتها المادية ، والمعنوية ، و التي منها تتشكل خصائصها ، إلا أن الحضارة الإسلامية قامت على هدي القرآن الكريم والسنة

* سيد قطب، كاتب ومفكر إسلامي معاصر، له مؤلفات إسلامية عدة، منها (في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) و(العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(التصوير الفني في القرآن) وغيرها. توفي سنة 1966.

[1] سيد قطب: معالم على الطريق، ب ط، دار الشروق،القاهرة،1981،ص87.

[2] محمود حمدي زقزوق، هموم الأمة الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1998 ص 27.

النبوية المطهرة ، ويترتب على هذا أنها تتميز بالثبات ولا تتأثر بالعوامل أو الظروف والمؤثرات الاجتماعية والثقافية ،هي حضارة شريعتها تخاطب المكلفين في كل مكان وزمان، وتنظم جوانب الحياة البشرية كافة، ومن هنا كانت حضارة لها ملامحها المميزة ولها خصوصيتها وطابعها ، وبالرغم من اختلاف المفاهيم ، والتعريفات الاصطلاحية للحضارة إلا أنه يجب أن ننوه إلى أن الحضارة مفهوم إنساني عالمي ، غير أن المفاهيم الخاصة والمعتقدات والثقافات هي التي تميز حضارة عن أخرى ، وتجعل لكل حضارة خصوصيتها ، وهو ما يسمى عند بعض المفكرين بالشخصية الحضارية لكل أمة.

أسس الحضارة الإسلامية:

للحضارة الإسلامية أسس عميقة تقوم عليها ، هي عبارة عن رصيد ضخم من القيم الإنسانية التي لا بد من وجودها لكي تقود الإنسانية إلى التحضر والإبداع ، والى جانب هذه القيم لا ترفض الحضارة الإسلامية أو تنكر الإبداع المادي في الأرض ، لأنه من أهم وظائف الإنسان الأولية منذ أن وجد على الأرض، فالإنسان يحاكي الكون والطبيعة من حوله ، ويغير ويعدل من البيئة من حوله ويسخرها لمنفعته، و يقوم بهذا مستنداً على القيم الإنسانية التي ترشده ، لكي يحقق غايته في الوجود ،وقد تحقق ذلك من خلال عقيدته التي هي منبع الفكر، ومنهج للحياة ، فهي عقيدة قامت بتنظيم الصلة بين الإنسان والله ، ولبيان أسس الحضارة الإسلامية نتعرض إلى عنصرين أساسيين للتصور الإسلامي ، وتحت كل عنصر مجموعة من المعطيات التي كان لها دور كبير في ظهور الحضارة الإسلامية، هذان العنصران هما : العقيدة، والنظام الاجتماعي.

أولا- العقيدة:

أعطى المنهج الإسلامي العقيدة اهتماما كبيرا؛ لأنها قضية وجوده ، ومصيره ، وتعامله مع الكائنات والعوالم في هذه الحياة وما بعد الحياة فهي " تتعامل مع واقع الإنسان، ومع المجتمعات الواقعية القائمة فلابد أن يكون للمسلم ارتباط معين مع ربه... كما لابد أن يحس أن لهذا الاعتقاد مجال في حياة اليومية ، يكون له سلطان على نفسه بهذه العقيدة ، وعلى مجتمعه ،وعلى مسيرة الحياة في محيطه ،على تفكيره، وعلى سلوكه، وعلى ثقافته ، ولهذا كانت الأقوال بغير الأفعال في مجال الاعتقاد جريمة ومقتاً ونفاقاً."[1]

[1] توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ،ط1، دار الوفاء المنصورة، ب ت، ص251

لقد تلقى الرعيل الأول الأسس التي بنوا بها حضارتهم من القرآن الكريم نبع العقيدة ، فقد مدهم بمنهج يدخل إلى القلب والروح والنفس فيعالجهم ، فتستقيم بهم الأعمال والأفعال والحياة ، وأعطاهم الإيمان والعمل الصالح مفاتيح الإنسانية ؛ ليكون الإنسان إنسانا، مسلماً وحضارياً، و يعد **القران الكريم** الأساس الأول من أسس الحضارة الإسلامية باعتباره المصدر الأول للإسلام وحجر الزاوية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية .

إن أثر القرآن الكريم في ازدهار الحضارة الإسلامية عظيم فقد أوضح للإنسان الكيفية التي يحقق بها الخلافة، وذلك من خلال "عقيدة واحدة إلهية، تكون مصدر التجمع والتصور،

ومنبع الفكر، ومنهج الحياة، مؤثرة في المبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع التي تنظم المجتمع المسلم، أفراداً أو جماعات، مع نظام مؤثر في الأخلاق والآداب والتقاليد والعادات

والقيم والموازين التي تسود المجتمع."[1] تلك القيم الإنسانية وغيرها شملها واحتواها القرآن الكريم، الذي به دعوات عالية وأحكام مثلى لخلاص الإنسانية ؛ لتعيش في ظلال السلام والوئام، فهو لم يكن مجرد كتاب ديني يبشر بعقيدة جديدة، بل هو دستور للمسلمين يهتدون به في حياتهم وقيمهم وأخلاقهم وبناء مجتمعهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ." إنه في حقيقة أمره **"ظاهرة حضارية كبرى"** بأوسع ما يعنيه لفظ الحضارة من سمو روحي وفكري ، و اجتماعي ، ونستطيع أن نقرر بواقعية وأمانة أن القرآن الكريم يمثل حجر الزاوية في بناء أعظم حضارة عرفتها البشرية طوال العصور الوسطى."[2]

فقد جاء القرآن الكريم للإنسانية بكل ما فيه خيرها وسعادتها، ففيه خطاب للقلوب بالموعظة والعقول بالدليل، فهو كتاب تشريع وتنظيم لمجتمع متكامل، وهو كتاب بلاغة وأدب، فهو يتقصى أبعد الجوانب في القلب الإنساني، ويتغلغل فيها بنظرة تلمس أدق الانفعالات فيها، "وهو يتجه نحو ماضي الإنسانية البعيد ومستقبلها، كما يعلمها واجبات الحياة، وهو يرسم لوحة أخاذة لمشهد الحضارات المتتابعة، ثم يدعونا إلى أن نتأمله لنفيد من ذلك عظة."[3] ففي القرآن الكثير من الآيات التي تحث الإنسان على العمل وبذل العطاء وتعمير الأرض وخلافته فيها، قال تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**

[1] توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، مرجع سبق ذكره، ص211.
[2] سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1981م، ص26.
[3] مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ب ط، دار الفكر، دمشق،1980م، ص181.

وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: آية 30] فإخبار الله للملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض "عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها، فيكون بها كمال الوجود في الأرض... فعلم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شيء في هذه الأرض وانتفاعه بها في استعمارها."[1] وبالرغم من أن في الإنسان ضعفاً وخضوعاً لشهواته وغرائزه، إلا أن الله قد كرمه وذلك حينما استخلفه في الأرض .

كما دعا القرآن الكريم إلى العلم الشامل، ودعا إلى البحث والنظر والتأمل في الكون، ودعا إلى حقائق الأشياء مادية ومعنوية، وأمر الناس بأن يدرسوا كل شيء دراسة بحث وتعمق،

فالإسلام اعتبر العلم فريضة، كما اعتبره جهاداً في سبيل الله تعالى، فقد "تولدت عن تعاليم الإسلام علوم مدنية، وبصرف النظر عن الاتجاه العلمي في تفسير بعض آيات القرآن.. أقول: لقد اقترنت نشأة بعض العلوم المدنية بتعاليم الإسلام ، إذ استندت إلى ثلاثة أركان من أركان الإسلام الخمسة، وهي : الصلاة والصوم والحج، إلى علم الفلك، كما اقتضى تحديد القبلة في الصلاة في البلدان المختلفة نشأة علم حساب المثلثات، واستندت معرفة أحكام المواريث... إلى تطور علم الحساب وإلى نشأة علم الجبر، فضلاً عن علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية التي اقترنت بالقرآن الكريم."[2] كما أشاد القرآن الكريم بالعلم فهناك الكثير من الآيات التي تنادي بالعلم، فأول كلمة أوحيت للرسول ﷺ من القرآن كلمة **(اقرأ)(سورة العلق آية1)** وقوله تعالى في سورة البقرة:**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة آية 282)** فهذه دعوة صريحة إلى أهمية الكتابة وضرورتها للمجتمع المنظم المتحضر، كما أنها تكمل الآيات الأولى من سورة العلق وغيرها من الآيات التي تحض الناس على طلب العلم، وترفع من قدر العلماء، مثل **﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر آية9.)**

مما سبق يتضح لنا أن الحضارة الإسلامية قامت على أسس متينة في ضوء هذه القيم التي أساسها القرآن بما يحمله من مبادئ إنسانية ترفع من قيمة الإنسان، و تهذب سلوكه ، هذا السلوك الذي التزم به الإنسان المسلم، فكان ممثلاً مبدعاً لكل مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية،

[1] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج1، طبعة المنار، ص281.
[2] أحمد محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1999م ، ص68.

من خلال تلقيه لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني، فعقيدة **(لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)** قاعدة لمنهج كامل قامت وستقوم عليها الأمة المسلمة، متى التزموا بمعطياتها .

معطيات العقيدة: إن عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد لها معطيات كانت وراء ما حققته الحضارة الإسلامية من سمو وإعجاز من هذه المعطيات :

ا- السمو الإنساني: الذي وصل إليه المسلم من خلال التزامه بعقيدته التي أمدته بالطهارة من الشهوات ، تلك العقيدة أمدت المسلم بقوة يستعصى بها على أي هوى أو نزوة، فلا يضعف، أمام الشهوات ، كما أمدته بالكرامة التي جادل بها المسلمون عبودية الإنسان وتسلط الطواغيت على حياته ودنياه فلا يتخذ رباً إلا الله **{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران آية46)** ،كما تعطيه سمواً في التفكير بعيداً عن أن يكون أسيراً لرواسب

ماضية ونحل منحرفة ، وهذا ما كان عليه الجاهلون من قبل **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ }(البقرة 170)**

ب- التصور الحقيقي للأشياء: تبعث العقيدة في نفوس المسلمين تصورات حقيقية لقيم الأشياء ، فمن يعرف ربه يعرف قيمة نفسه ويعرف قيمة إيمانه ويعلم تسخير العوالم له ؛ لأن الكل مخلوق ، والكل محتاج إلى عطف الله ورضاه ، وإذا استعان فإنما يستعين بالله ، وإذا طلب فليطلب من الله. يفعل ذلك وهو يعلم أن الضر والنفع من الله، قال عليه الصلاة والسلام **((إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ, وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ, وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ.))** سنن الترمذي وأحمد.

ج-الرجاء وطمأنينة القلب: هذه العقيدة تبعث في نفوس أصحابها الرجاء في الله وطمأنينة القلب ؛ هذا الإيمان يربي القلب على نفسية قائمة على الثقة بالله والرجاء فيه ،مما يجعل المؤمن يتغلب على اليأس و لا يدخل قلبه إلا الثقة حتى يأتيه نصر الله **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(البقرة آية186)** فالمؤمن عنده يقين كامل بقرب الله منه، وبرحمته ، واستجابته لدعائه ؛ لذلك يستعين به ويتقرب إليه فهو الذي يمنحه النجاة، فصبر صهيب وتغلب بلال على قسوة وتعذيب أبي جهل وأمية بن خلف نابع من اطمئنان قلبهما لرحمة ونصرة الله . وهكذا نجد أن الإيمان إذا دخل القلوب أسعدها وأراحها، فالإيمان طمأنينة إلى الخير وثقة وهداية.

د- الجـرأة والشـجاعة: أمـدت العقيـدة المـؤمنين" بصـفات نفسـية عـامرة كريمـة بـلا حـدود، من هذه الصفات الجراءة والشجاعة والبسالة النادرة ، الشجاعة في كل ميدان من ميادين الحياة ، الشجاعة في مواجهة النفس والتغلب على ثقل الحيوانية ، ولهذا كان الجيل الأول من المسلمين قد ضربوا أروع الأمثلة في الاستقامة والقدوة بعد تاريخ طويل في الجهالة وحب العرض و اتباع الشهوات ، واستطاعوا أن يفرضوا الاستقامة وأن يعلموا الشعوب الهدايا والرجولة ونبذ الانحراف ومداواة النفوس." [1]**{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}(الكهف آية46.)** كما أمدتهم بالشجاعة في مواجهة الصعاب ، فالمؤمنون لا يخافون الموت ؛ لإيمانهم بأنه حق **{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون } (الجمعة آية8)** ،وبالتالي وجدناهم أصحاب بسالة في ساحات الحرب، لأن مطلبهم إن عاشوا عاشوا كراماً ، وإن ماتوا فسوف يذهبون إلى الجنة التي وعدهم الله بثوابها.

هـ -الإحاطـة والشـمول: تتميـز العقيـدة الإسـلامية بالإحاطـة والشـمول حيـث نجـدها أقـرت، و اعترفت بالكتب السماوية كلها ، حيث يأمر الإسلام الإيمان بكل كتاب أنزله الله على أحد من **رسله { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَـئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) (البقرة الآيتان4-5)**، تتمثل خاصية الشمول في صور شتى إحداها رد الوجود كله إلى إرادة الذات الإلهية يقول تعالى:{ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (القمر آية49)**،{ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}(الفرقان آية 2)**،{ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} (الرعد آية8)**، {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(النحل آية 40)**، { **الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}،(طه آية50)** . إن التصور الإسلامي عن طريق هذه الخاصية في صورتها هذه يمنح القلب ، والعقل راحة وطمأنينة ، واتصالاً بحقيقة المؤثرات الفاعلة في هذا الوجود-كما هي في عالم الحقيقة والواقع-"ويعفي الفكر البشري من الضرب في التيه بلا دليل، ومن الإحالة على أسباب غير مضبوطة-وأحياناً غير موجودة- كالإحالة على (الطبيعة)، أو الإحالة على(العقل)،أو الإحالة على كائنات أسطورية كالتي تصورتها الوثنيات وتلبست بها الفلسفات، على مدار التاريخ، فضلاً عن العنصر الأخلاقي، وحقيقة العبودية...وهكذا تتكون من مجموعة الحقائق التي يتناولها هذا التصور في شمول وسعة ودقة وتفصيل ، صورة كاملة، وتفسير جامع مفصل، لا يقبل إضافة من مصدر آخر؛ لأنه أوسع وأشمل، وأدق وأعمق، وأكثر تناسقاً

[1] توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص216 .

وتكاملاً من كل مصدر آخر."[1] فعقيدة الإسلام دعوة عامة لجميع البشر بدون تمييز بين الأجناس والألوان، أو فقير وغني، بل الكل أمام الله سواء ، والدين لهؤلاء جميعاً، ومن إحاطة الإسلام وشموله أيضا اهتمام العقيدة بما يصلح وما يفسد من طعام وشراب فأحل الطيب وحرم الخبيث، فالإسلام قد بين أن الأعمال هي قوام المسلم وهي التي بها يرقى ويسود في الأرض ، وبها يصنع الحضارات، وبها ينال ثواب الجنة .

ثانياً النظام الاجتماعي: النظام الاجتماعي هو الأساس الثاني للحضارة الإسلامية، فهو نظام متكامل جاء به الإسلام ، وصبغ به الحياة الإسلامية، نظام رباني اختاره الله للبشرية لينظموا حياتهم عليه ، ويحييهم به حياة طيبة ، ويسعدهم به في الدنيا والآخرة، وهو وعي إلهي رائق ينظم حياة الناس وينسقها ، كما ينظم حركة العوالم ويهذبها ويسعد حياة البشر ، لقد دعا الإسلام الفرد إلى الاجتماع ونهى عن الافتراق، دعا إلى التكتل، ونهى عن التشتت، فهو دين الائتلاف وليس دين الاختلاف، ومن أهم أسس النظام الاجتماعي:

أ-المساواة بين البشر: قامت المجتمعات الإسلامية على قاعدة مهمة مستقيمة من خلال الإسلام هي المساواة التامة بين البشر بلا قيود، ولا استثناء ، فهي مساواة تامة بين الأفراد وبين الجماعات، بين الأجناس ، ومساواة كاملة بين الحكام والمحكومين، لا فضل لرجل على رجل، ولا لأبيض على أسود ، ولا لعربي على أعجمي ، فقد أسقط الفوارق العرقية والمالية إذا كانت هي مقاييس التفاضل بين الناس، فهو لا يعبأ بالسلالات مجردة عن كل خير، قال تعالى:{ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ} (التوبة آية:55)** ويقول :**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات أية13)** بهذه القيم والمعاني النبيلة حقق الإسلام قومية عالمية ووحدة إنسانية متكاملة تكون جماعة دولية ، تحمي فيها الامتيازات القائمة على الاختلاف في الألوان والأجناس واللغات والحدود الجغرافية، ومن المحال أن تكون حضارة إنسانية عالمية إلا بتحقيق ذلك ،لأنها من جانب تحافظ على فردية الفرد ، ومن جانب آخر تطهرها من كل ما قد يكون فيها من الميول المتناقضة ، والنظام الإسلامي بهذا يقطع الطريق على النظام الطبقي وما يصاحبه من نظام اجتماعي مقيت ، وقد أحدثت هذه المبادئ ثورة اجتماعية هائلة بدلت الأوضاع الاجتماعية فالكل أمام الله سواء ، ومن هذا المنطلق سار الناس بطاقاتهم إلى المجد لا يعترضهم جهل أو غرور أو تسلط ، ويسعى الكل يُعْلِيه عمله ويرفعه جهده ، ولهذا نرى أن المجتمع الإسلامي برزت فيه طاقات جبارة لولاه ، ما كان لها في الحياة شأن أو ذكر.

[1] سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،ط15،دار الشروق،القاهرة،2002م،ص 99-101

ب-العدالة المطلقة: الإسلام جاء بدعوة عالمية إنسانية، بعيدة كل البعد عن التعصب لقبيلة أو أمة، أو جنس، جاء وعقيدته وحدها هي الآصرة والرابطة القومية والعصبية والأخوية ، فكل مبادئه التي جاء بها تكفل تماسك الأفراد والجماعات، واطمئنان الأشخاص والأمم والشعوب ، حيث " جاء الإسلام بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالوأد أو البغض ولا تتبدل مجاراة للصهر أو النسب ، والغني والفقر ، والقوة والضعف."[1] وحول هذه المعاني نجد الكثير من آيات العدل مثل قوله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} (النساءآية58)** ففي الدين الإسلامي الكثير من المناهج لتطبيق العدالة المطلقة ، وأقسامها منها:

العدالة الذاتية أو النفسية: التي تنبع من ذات الإنسان بأن يقدر حقوقه ،وحقوق غيره ، وهي التي عناها ﷺ " بقوله أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وقوله "عامل الناس بما تُحبُ أن يعاملوك به "[2].

من هذه المبادئ العادلة فتحت الأرض، والقلوب، والنفوس أبوابها للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،يقودون بعقيدتهم وأسسها مواكب الحضارة الإنسانية.

-العدالة القانونية: ويقصد بها المساواة في القانون فلا يكون هناك قانون للأشراف وآخر لغيرهم أو يكون قانون للبيض وآخر للملونين ،وليس هناك فرق في تطبيق القانون للجرائم المرتكبة سواء بين الراعي والرعية ، أو الحاكم و المحكوم، فالإسلام أثبت المساواة في العدالة، والتراث الإسلامي به الكثير من الأمثلة على ذلك منها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، وقد اعتزم النبي ﷺ أن يقطع يدها؛ لتكرار السرقة منها، فوسطوا قريش **أسامة بن زيد** حِبَّ رسول الله ﷺ ليشفع في ذلك، فغضب رسول الله ﷺ،وقال له لائماً: أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة! ثم وقف خطيباً وقال : "ما بال قوم يشفعون في حد من حدود الله، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[3]،هذا هو العدل في الإسلام الذي حض الله وأمر به ، جل شأنه ، من ذلك قوله تعالى :

[1] توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص225
2 البخاري باب الإيمان،ص7
[3] رواه مسلم 114/5 حدود المختصر 279

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا}(النساء آية135).

العدالة الاجتماعية: وهي التي تراعي المواهب بحيث يعمل كل ذي موهبة على قدر طاقته وتهيأ لها الفرص بغض النظر عن فقرها أو غناها ؛وبتحقيق تلك العدالة تعلو الإنسانية بجهد الموهوبين، فقد كان من وراء تطبيق تلك العدالة فتح المجال أمام المواهب، والنوابغ ولذا برزت في الإسلام مواهب وقدرات وطاقات أذهلت الجميع ، فالمهم في الإسلام أن يفسح المجال للمواهب ، ويوضع كل في مكانه الصحيح حتى أن الرسول ﷺ اعتبر من لم يفسح المجال لذوي المواهب مضيعاً لنعمة الله وخائناً للإنسانية ، إذ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام : **"ومن استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين "** [1]إلى جانب هذه العدالة نجد عدالة إعانة الضعيف ،والعاجز عن العمل، وذلك بمساعدتهم، وتوفير

سبل الحياة الكريمة لهما، بقوله جل شأنه:**{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (المعارج الآيتان 24-25)**من تلك العدالة وغيرها مما اشتملتها العقيدة عم الأمن والسلام، والطمأنينة، وسادت المحبة، والأخوة في كل المجتمعات الإسلامية.

ج- الحرية: أساس هام لبناء الحضارة، وتعد الحرية من أهم التصورات التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، تتمثل في عدة أنواع منها على سبيل المثال:

حرية الاعتقاد: هي من أهم المبادئ التي قررها الإسلام ، حيث جعل لكل إنسان الحق في أن يعتنق من العقائد ما يشاء ، وليس لأحد أن يجبره على ترك دينه واعتناق آخر، يقول الله عز وجل : **{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة آية256)**، وقوله جل شأنه:**{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(يونس آية 99)**، قوله تعالى: **{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (النحل أية125)**،هذا قليل من كثير نوضح به حرية الاعتقاد دون إكراه ، فالإسلام يقرر هذا المبدأ الذي يتجلى فيه تكريم الإنسان واحترام إراداته ومشاعره ، وترك حريته لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد.

[1] رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد-الترغيب والترهيب 462/3

حرية الفكر: قد قامت الدعوة الإسلامية على الاهتمام بالفكر، وإذكاء العقل كما يقرر الإسلام حرية التأمل والبحث واستجلاء الحقائق والنظر إلى ما وراء الأشياء إلى غايتها، ولهذا نرى "دعوة القرآن إلى التفكر في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم وفيما حولهم مما تقع عليه أبصارهم، أو تسمعه آذانهم ، ليصلوا من رواء ذلك كله إلى معرفة الخالق وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال"[1]، والأدلة كثيرة التي تحث على التأمل والتدبر والتفكر في القرآن الكريم ،من ذلك قوله جل شأنه :{ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ } (سبأ آية46)**، وقوله تعالى:{ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} (الروم آية8)**،وقوله تعالى:{ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (الداريات الآيتان 20-21).**

حرية القول: لقد جعل الإسلام حرية القول حقاً لكل إنسان على أن يستعملها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،{**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ}(آل عمـران آيـة 104)**،كما طلب منه أن ينطق بالحق، و يجهر به إذا سكت الناس، وإذا توارت الأصوات وخفتت الألفاظ وكممت الأفواه ، ويبين هذا قوله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان **"(رواه مسلم)**، بالرغم من هذه الحرية، إلا أن الإسلام قد وضع ضوابط لها حتى لا تخرج أو تبعد عن إطار القيم والفضائل والأخلاق وحقوق الآخرين والصالح العام ، فالإنسان حر في ممارسة حريته بشرط أن يكون سيد نفسه فلا تستبد به آراؤه أو تستعبد شهواته، أو تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام، بمعنى آخر أن لا تعارض حرية الفرد مع حق المجتمع كله ، فالإنسان حر ولكنه في الوقت ذاته مسؤول عن خير المجتمع والصالح العام .

من هنا يظهر لنا أن الحرية في الإسلام ترتكز على قاعدتين أساسيتين هما **القاعدة الأولى :** شخصيته فلا يخضع الفرد لأهوائه ولا يكون عبداً لشهواته ، **والقاعدة الثانية :** اجتماعية وهي تقوم على مراعاة حقوق ومصالح المجتمع، مما سبق نجد أن تصور الإسلام للحرية فاق جميع المذاهب والأديان والفلسفات فهي لا تتعارض مع خير الفرد والمجتمع ، وكان من ثمارها اعتقاداً وفكراً وقولاً ، وخير دليل على ذلك الإنجازات العلمية الكبرى في جميع ميادين المعرفة التي حققت على أيدي المسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام.

[1] توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، مرجع سبق ذكره،ص233

د-الأخوة: من أهم أسس الحضارة الإسلامية، فهي تدل على السمو الروحي والخلقي الذي تميز به الإنسان المسلم في صدر الإسلام، وهي من المعاني التي تنشر المحبة والسلام بين الإنسانية جمعاء، حيث قام المجتمع الإسلامي على أساس متين من الأخوة الإنسانية المتمثلة في قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء آية 1)** كذلك نجد من الأخوة الأخوة الإيمانية المتمثلة في قوله جل شأنه **:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات آية 10)**، وقوله تعالى:**{ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (آل عمران آية103)** إنها أخوة التجمع على المبدأ، والدعوة إلى الخير، هذه الأخوة هي ركيزة الحضارة الإنسانية.

هـ-الاتحاد والتعاون: ويقصد بذلك أنه لا حضارة لمجتمع قوي إلا من خلال تماسك وتعاون أفراد المجتمع؛ شريطة أن يكون هذا التعاون على الخير والصلاح ، ونبذ العداوة والكراهية، قال تعالى **:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدةآية2).**

و-الأخلاق والفضائل: لقد جعل الإسلام المبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظم الحضارة، وميادين نشاطها وهي ركن هام من أركان العقيدة، فتعاليم الإسلام في الفضائل والأخلاق جاءت لتنقل الإنسانية خطوات واسعة إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، فالأخلاق هي أصل الحياة الإسلامية، وطريق من الطرق التي تكون صرح الحضارة الإسلامية، ولو جمعنا آيات القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ في التحلي بالأخلاق لأصبحت لدينا موسوعات لا تنتهي في مجال الأخلاق، نذكر منها، قوله تعالى: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة آية128)**،وقوله تعالى:**{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}(العمران آية159)**، ويقول رسول الله ﷺ :**(إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)**، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(إن من أحبّكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسانكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ، قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون،قال ، المتكبرون .) (رواه الترمذي).**

إذن فمن يملك أسساً كأسس الإسلام يستطيع بحق أن يبني حضارة عظيمة، فأسس الإسلام استطاعت أن تنشر نورها في البلدان التي فتحتها ،لا بقوة السيف ، ولكن بقوة الإيمان الذي بثته فيهم العقيدة فبفضل الإسلام ، أستطاع الشعب الذي آمن به أن يدعو إلى التعارف والحوار الحضاري

بين البشر وبين الديانات السماوية، وينشد المعرفة والعلم. " إن تطور الفرد أو الجماعة من ناحية العقائد لا يتوقف على كمية العقائد ونوعها، بقدر ما يتوقف على ما فيها من عقل وحكمة، فكلما كانت العقائد قريبة من المنطق والعقل كانت أمارة التقدم والحضارة."[1]

مما سبق اتضح لنا أن الإسلام قد قفز بالحضارة الإسلامية والإنسان المسلم قفزة هائلة إلى التحضر، هذه القفزة " كانت على أثر إشعاع القرآن الكريم في جنبات الدنيا والإنسانية، فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظَّمها بعد اضطراب، وفتَّق أذهان أبنائها بعد ارتقاب، وأزال الأصفاد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر."[2] ومن هذا الدين القيم، وأسسه، انطلق المسلمون يبحثون ويطلبون العلم، فهي حضارة دعت الناس إلى معرفة كل ما من شأنه أن يصل بهم إلى طريق الرشاد، لذا انتقل المسلمون من أمة الأمية إلى أمة العلم والفكر حتى أصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر، ورواد المعرفة والحضارة، بسبب الإسلام والإنسان الذي التزم بمبادئه وأسسه فكان له الفضل في إيجاد تلك الحضارة.

الحضارة الإسلامية والتحديات المعاصرة:

تواجه الحضارة الإسلامية المعاصرة حالات من التصدع، أدت إلى انقسام بين الذات وما تؤمن به من قيم ومبادئ، وبين واقع يشدها إلى حضارة مفروضة عليها وتوقف العطاء الحضاري، ما نتج عن ذلك الكثير من التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية والمسببة للكثير من مشاكلنا الحضارية أو بالأحرى تخلفنا الحضاري، من هذه التحديات على سبيل المثال لا الحصر:

(تحدي التنمية وندرة الإنتاج- فقدان الديمقراطية - فقدان الحرية - البيروقراطية- ضعف الإرادة- ظهور عنصرية وطبقية- انخفاض معدلات النمو- إرهاب و جمود فكري، واستكبار وطغيان إلى آخره من التحديات) . تلك التحديات وغيرها من وجهة نظري يرجع السبب الرئيسي في وجودها إلى تخلي الإنسان المسلم وبعده عن مبادئ وأسس دينه الصحيح.

فإن كانت الحضارة الإسلامية قد قامت على الأسس العظيمة التي احتواها الدين الإسلامي من المساواة والعدالة ، والحرية إلى آخره - تلك الأسس التي بها كان ظهورها، و بها تم ازدهارها ومجدها - إلا أن حضارة الإسلام انتشرت و سادت من خلال التزام المسلمين حكاما ومحكومين بأسس الدين التي كانت طاقة مضيئة أمدت جميع مظاهر الفكر والحياة بالإشعاع والنشاط ،

[1] محمود حب الله :الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، ب ط، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،1948،ص203
[2] أحمد السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة،ط1،دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ب ت،ص60

و لا ننسى إلى جانب الدين وأسسه ومبادئه الإنسان المسلم في حد ذاته الذي لولا احترامه لمقومات دينه والتزامه بالقيم الأخلاقية وحبه للعلم والمعرفة وكشف المجهول لما قامت حضارة الإسلام ، فقد قامت الحضارة الإسلامية في عصر ازدهارها بسبب حرية الفكر، لكنها انهارت بسبب الساسة وكُبْتِ الحريات الفكرية، ففي السياسة الإسلامية المعاصرة نجد مظاهر الضعف في مورث العداوة والبغضاء، ما أدى إلى تفرق المسلمين إلى شيع تفرقوا بها إلى مذاهب متنافرة متناحرة ، وبالنسبة لكبت الحريات الفكرية فقد اختفى من أثروا الفكر الإسلامي لغة ومنطقا ، ونافحوا عن الإسلام بالجدل والكلام، ليرثهم من انتهجوا الكهنوت الذين يرمون خصومهم بالمروق من الإسلام والحرمان من رحمة الله ، وتلك كانت أول بوادر أعراض شيخوخة الفكر الإسلامي، الذي واكبه نضوب معين الأصالة.

أما تحدي ندرة الإنتاج، والتنمية فهو مرتبط بأزمة الديمقراطية، والحكم الرشيد حيث تتعطش شعوبنا إلى الحكم الرشيد المبني على المساءلة والشفافية والتعددية السياسية والعدالة وسيادة القانون، ويتفق الجميع اليوم على أن الديمقراطية والتنمية وجهان لعملة واحدة وأمران متلازمان، وأنه لن تتحقق التنمية في بلادنا إلا من خلال الأنظمة السياسية المنتخبة بطريقة ديمقراطية، يتم فيها تفعيل دور مؤسساتنا الأهلية وجمعيات المجتمع المدني الأصيلة التي تحمل هموم الأمة، لا التي يمولها الغرب وتتحدث باسمه.

إن معظم مشاكل الأمة تكونت بفعل الأنظمة الاستبدادية غير الشرعية، التي تغيب عنها المساءلة . هذه الأنظمة هي التي نما وترعرع الفساد في كنفها، فانهارت مشروعات التنمية الاقتصادية و البشرية. لذا نجد المسلمين اليوم لا ينتجون أدوات الحضارة الإنسانية المعاصرة ولا علومها، بل يكتفون باستيرادها ومنتجاتها من الغرب، دون محاولة الوصول إلى الاختراعات ، ولئن كانت هناك قلة من العلماء العرب والمسلمين يتوصلون من حين إلى آخر إلى فك رموز وشفرات الكثير من العلوم، إلا أنهم بسبب فقدان الحرية والعيش في ضل نظم بيروقراطية وعدم توفر الإمكانيات المادية والاهتمام بالعلماء، نجدهم في ضل هجرة العقول المؤسفة قد غادروا بلادهم إلى الغرب، لكي يضيفوا إلى رصيدهم العلمي رصيداً آخر.

وهكذا ، ففي العصر الحالي اكتفى الإنسان المسلم بأن ينظر إلى الحضارة الغربية المعاصرة نظرة إعجاب وانبهار بقوتها ونفوذها وفنونها وعلومها وصناعاتها الآخذة في التطور يوماً بعد يوم، مع إقناع نفسه بأن تطوره مرهون باقتباسها واستيرادها، لا بإنتاجها،

مـع العلـم بأننـا نـدرك "أن عوامـل التقـدم وآلياتـه أصـبحت تعتمـد علـى المعرفـة والبحـث العلمـي ومعايير الجودة الشاملة."[1] ، وليس على الاستيراد وتكديس المنتجات.

إذن فالوضع الحالي المتخلف للحضارة الإسلامية عن ركب الحضارة المعاصرة وعدم القدرة على الإنتاج هو وضع ارتضاه الإنسان المسلم لنفسه، قبل أن يفرضه عليه الاستعمار في العصر الحديث.

تحـديات ثقافيـة ، تتمثـل فيمـا يفرضـه الغـرب مـن ثقافتـه الغربيـة، أو مـا يسـمى بالعولمـة الثقافيـة، أو بـالأحرى محـو الهويـات، ومحاربـة التنـوع الثقـافي، "والعمـل علـى انسـلاخ الأمـم والشـعوب عن مقوماتها، لتندمج جميعها في إطار النموذج الأمريكي الأقوى إبهاراً، والأشد افتتاناً في هذا العصر"[2]فتحدي الإنسان المسلم لظاهرة العولمة هو تحديه لأكثر من ظاهرة في الوقت نفسه، فالعولمة ليست ظاهرة ثقافية وفكرية وإعلامية فقط، بل هي أيضاً تتمثل في ظواهر عدة، فهي ظاهرة سياسية واقتصادية في المقام الأول، هدفها الأساسي هو إفقاد الشعوب هويتها، حتى تستطيع السيطرة عليها وإخضاعها لمنطق القوة والهيمنة والسيطرة و بالتالي محو هويتها الحضارية والثقافية، وهذا المجال-**الثقافي**- يشكل خطراً عظيماً، لأنه خاص بنشر فكر وثقافة معينة ، ومن عناصرها الأساسية محاربة الذاكرة الوطنية والتاريخ والوعي وفقدان الهوية الوطنية والثقافية والاقتصادية والسياسية، أي ربط الناس بشيء آخر يقع خارج الوطن وخارج التاريخ المحلي، أي اختراق الهوية الثقافية ، ويساعده في ذلك توظيف الإعلام ووسائل الاتصال المتطورة التي تعمل جاهدة على استعمار العقول .

فقد دخلت العولمة في مرحلة تحدٍ وصراع ضد قيم المجتمع الرافضة للثقافة الغربية التي تتنافى مع كل قيمنا وعقائدنا، تلك الثقافة التي تتغلغل في كيان المجتمع الإسلامي، بين الأطفال والشباب ،وما تبعها من ظواهر سلبية في المجتمع من تفكك الأسرة وانحلال الأخلاق بسبب الثقافة الكونية أو العالمية، التي يحرص((دعاة العولمة على تنميتها وتنمية ما يسمونه الوعي العالمي، بحيث ينقل الإنسان اهتمامه أو مجال تفكيره عن المستوى الوطني أو القومي إلى المستوى العالمي، أي ربط الناس بعالم (اللا أمة) و(اللا وطن) و(اللا دولة) لأن ذلك يسهل عمليات الاستلاب التي تقوم بها...ومن ثم فهي تخلع الفرد من هويته وأسرته، وتخلع الأسرة من مجتمعها، والمجتمع من أمته الكبرى، وتخلع الأمة من رباطها بالإنسانية.))[3]. وهكذا نجد أن هدف العولمة الأساسي هو سلب الوعي وتحطيم الهويات الثقافية المحلية وإلغاء الخصوصية الثقافية،

[1] حسين كامل بهاء الدين، مفترق الطرق،ط2،دار المعارف، القاهرة، 2003 م ، ص113.
[2] عبد العزيز عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، ب ط، دار الشروق القاهرة، 2004م ص43 .
[3] عبد الكريم بكار، العولمة: طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معه، ط2، دار الإعلام للنشر والتوزيع، الأردن،2001،ص70.

وإبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي وتهميشهم، فهي دعوة إلى بروز أزمة في الهوية، تعيشها المجتمعات النامية، التي أصبحت ثقافتها ثقافة الصور والمعلومات التي تحصل عليها من الحاسوب وبنوك المعلومات، بعد أن كانت ثقافتها ثقافة الكتاب والصحيفة والفكرة والعقيدة.

من هنا يجدر بنا –نحن أبناء الحضارة الإسلامية- أن نعمل بكل جهد، وبأقصى قوة، لإصلاح أحوالنا الثقافية والسياسية والاقتصادية، حتى نلحق بركب الحضارة، ونبني المستقبل، حيث إننا نملك شروط النهوض الحضاري ؛ لاستئناف دورنا في بناء الحضارة المعاصرة ، ولكي نصل إلى بناء حضارتنا الإسلامية المعاصرة يجب أن نهتم بواقعنا، فعلى المسلمين اليوم لمواجهة تلك التحديات إدراك حقيقة في غاية الأهمية وهي أنهم مطالبون بالإمساك بأسس حضارتهم السالفة الذكر.

الخاتمة

تتطلع الأمة المسلمة في العصر الحاضر إلى غد مشرق، وهذا لم يكن بالشيء الصعب إذ التزم المسلمون بقيم ومبادئ الدين الإسلامي متخذين قدوتهم رواد وبناة الحضارة من الجيل الأول من المسلمين، ولكن واقع الحضارة الإسلامية اليوم بعيٌد عما كان عليه الرواد بالأمس، واقع لا يعبر عن المكانة التي ينبغي أن يصل إليها، ورغم ذلك لا نستطيع أن نقول عنها إنها حضارة منهارة ؛لأن أسسها الذي قامت عليها ،أسس متين، لا يتغير بتغير الزمان أو الظروف، ولكن نستطيع أن نقول إنها حضارة متوقفة عن الإبداع، وأيضاً نقول إنها في حالة تأهب حضاري، للانطلاق نحو استئناف دورة حضارية جديدة، لأن الضعف الذي بها هو ضعف عارض، أما جذورها سليمة محافظة على عناصرها الحية، والمسلمون هم المسؤولون اليوم عن إنعاش هذه الجذور، و إحيائها، و فهم منهجهم الرباني، وقيمهم و تشريعاتهم، إلى جانب قدراتهم المادية والسياسية، قادرين على وضع حداً لتدهورهم الحضاري، وإزالة عوامل الإضراب والجشع والصراع السياسي، و ذلك حينما يبتعدون عن التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات ، مختلفة عنهم في الأسس والقيم الإسلامية، وحينما تضطر إلى نقل تجارب الآخر، يجب أن نضع في الاعتبار احترام خصوصيتنا، وذاتيتنا الحضارية، وبهذا نكون قد ارتبطنا إنسانيا مع الآخر، مع المحافظة على القيم، أو بمعنى آخر نرفض تعليب القيم وإملاء التجارب لأن قيمنا انبثقت تاريخياً عبر منظومة القيم الإسلامية، التي كانت، ولازالت تمثل رصيدنا الحضاري.

ان الوضع الحالي للمسلمين لا يعبر عن المكانة التي ينبغي أن تتبوأها الأمة الإسلامية، بحيث تكون الرائدة والمطورة لنفسها ولغيرها، **فهل باستطاعة المسلمين مواجهة التحديات، لتكون أمة ناهضة؟** نعم يستطيعون مواجهتا، و يستطيعون أن يكونوا أمة ناهضة، وهذا يتطلب منا انطلاقة ذاتيَّة ورؤية صحيحة لنضع قدراتِنا في الموضع الصَّحيح، ونعالج مشكلاتِنا أوَّلاً بأوَّل، وينبغي أن نعلّم جيل المستقبل طريقةَ التَّفكير الصَّحيح، ومتطلَّبات النهوض؛ فالإرادة الذَّاتيَّة تُثير التِحام القدرات، وتحفزها لمواجهة التَّحدِّيات ولا بدَّ لمن يريد أن يُعيد بناء نهضتنا أن يضع في أولويَّاته إقامة الحقّ والعدْل، ونشْر الإبداع وإعادة الإخلاص والصدق إلى مُجتمعاتنا؛ كي تعمل بإتقان، واضعين في الاعتبار أن هذا كله لن يتم إلا من خلال تماسك الإنسان المسلم بالجانبين المهمين لقيام الحضارة وهما الجانب المادي والجانب الروحي.

النتائج

- **إن** المسلم المعاصر لا يؤمن بالإسلام كما كان يؤمن به المسلمون البناة، وإنما يؤمن به إيماناً خالياً من الحياة والحماس الذي يحول مبادئه إلى طاقة شعورية تتوق إلى التعبير عن نفسها في صنع التاريخ.

- إن الشرط الأساسي لنهضة حضارتنا الإسلامية يكمن في أن يكون لنا وجود فكري وكيان روحي مستوحى من المبدأ الصالح الذي يحدد لها أهدافها وغاياتها ويضع لها مثلها العليا ويرسم اتجاهها في الحياة.

- لا نستطيع أن ننكر أننا في عالمنا الإسلامي اليوم نقف عند مفترق طرق خطر، وهو ذبول الحضارة الإسلامية، فهي وإن ذبلت ، إلا أنها لم تمت، فهذا الذبول لا يرجع إلى عدم قدرتها على مسايرة التطور العالمي في العصر المعاصر، وإنما يرجع إلى تقصير أبناء هذه الحضارة والقوامين عليها، وتخليهم عن روحها ومبادئها ومثلها، فإذا أخلصوا لها عاد إليها وجهها المشرق.

- رغم واقعنا المعاصر المليء بالمشاكل والتحديات إلا أنني أرى نوعاً من التفاؤل يراودني لانبعاث هذه الحضارة في المستقبل، وذلك حينما يعمل أبناؤها على جمع حكمة الماضي وخبرته إلى تجربة الحاضر، فبناء المستقبل ينطلق من العمل التأسيسي الذي يغير ويطور ويجدد لإيجاد رؤية مستقبلية لحضارته الإسلامية، هذه الرؤية لا تتحقق إلا من خلال الإنسان الذي هو أهم مصدر وعامل للحضارة، فلمواجهة العولمة يطلب من الإنسان المسلم إعداد جبهة ثقافية عتيدة مستندة إلى هويتنا الحضارية، فلا ثقافة بدون هوية حضارية، ولا هوية بدون إنتاج فكري قوي يتصدى للعولمة الثقافية، وهذا -**أي الإنتاج الفكري**- لا يكون بدون مؤسسات علمية متينة، ولا علم بدون حرية معرفية، ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير بدون لغة قومية تضرب بجذورها في التاريخ.

- يجب الاهتمام بالإنسان ومشاكله المادية والمعنوية، وطرحها على بساط البحث من جديد، وذلك بعد اهتزاز التقاليد قديمها وحديثها، فالإنسان في المستقبل سوف يبحث عن مكانه الحقيقي، وكرامته الحقيقية، وعظمته الثمينة التي لا تقدر إلا من خلال اعتماد الأساس الروحي الأخلاقي، وتعزيز الاستقلال، وتجديد الطرق التشريعية، فمن خلال الاعتماد على الأساس الروحي والأخلاقي سيكون الإنسان حراً.

إن الحصول على الحرية يعد من أهم عوامل التغير الحضاري، فمن خلالها يستطيع الإنسان مواجهة التحديات، والعمل على إنهاء مشاكل عصره، لذا أرى أن أول خطوة سيقوم بها الإنسان في حضارتنا الإسلامية في المستقبل هي ممارسته لحريته، فالحرية هي مشكلة المشاكل في العالم الإسلامي نتيجة للحكومات التقليدية المستبدة، ولا إبداع مع انعدام الحرية على مستوى الأفراد والشعوب، إلا من خلالها **(أي الحرية)** التي سيضيف جديداً إلى واقعنا، وذلك من خلال إيجاده أنظمة الحكم التي تصلح له وللعالم.

المصادر والمراجع

1-أحمد محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1999م .

2- أحمد السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة،ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ب ت.

3-توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ،ط1، دار الوفاء، المنصورة، ب ت .

4-جان كزنوف: السعادة والحضارة، تعليق: عادل العوا، ب ط ، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ، 1972م.

5 - حسين كامل بهاء الدين، مفترق الطرق، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2003 م.

6- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت ،1981م.

7- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط15، دار الشروق، القاهرة ،2002 م .

8--سيد قطب: معالم على الطريق، ب ط ، دار الشروق، القاهرة،1981.

9-عبد العزيز عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، ب ط ، دار الشروق القاهرة، 2004م.

10- عبد الكريم بكار، العولمة: طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معه، ط2، دار الإعلام للنشر والتوزيع، الأردن،2001 .

11 - مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ب ط ، دار الفكر، دمشق،1980م.

12- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج1، طبعة المنار، ص281 .

13- محمود حمدي زقزوق، هموم الأمة الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة ، 1998.

14- محمود حب الله : الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ، ب ط ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة،1948،ص203 .